

السيف المسلول لقطع حبال أهل العلة والمعلول

جمعه الجامع لأشتات الفضائل، والمحرز في الزمن الأخير ما أحرزه من

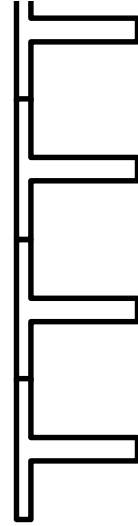
أئمة الاعلام الأوائل

مولانا أمير المؤمنين أبي محمد المتوكل على الله المحسن بن أحمد

نصره الله وحفظه وأيده

آمين آمين آمين

اللهم آمين



هذه الرسالة وجدت نسخة منها بمكتبة جامع الشجرة بحوث عمرها الله بالصالحين، والعلماء العاملين، وهي بخط العلامة عبد الكريم عاطف، وبعد بحث طويل من نسخة أخرى وجدت صدف بمكتبة بعض طلاب العلم، وجعلتها الأصل، ودفعتها هي للصف، لأنه قال آخرها: (تمت سماعاً وقراءة على مصنف هذا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين المحسن بن أحمد أمير المؤمنين حفظه الله ونصره وجزاه الله عن المسلمين أفضل الجزاء، يوم الإثنين غرة شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩١ هـ في المقام الشريف لماطلع بمحروس مدينة حوث، وقد صححناها عليه قراءةً وتصحيحاً أيده الله، فما وافق هذه النسخة فهو المصحح المعمول عليها، وما خالفها صححت عليها) انتهى.

والنسخة الأخرى رمزت لها بـ(أ) عند المقابلة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فطر القلوب على توحيده وتمجيده، وأورى قسبها الثاقب بأفكار صالحه صفوته وعبيده، الذي لا تدركه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الأول الآخر، الباطن الظاهر، لا تحويه العناصر، ولا تحله الأعراض والجواهر، المتصف بصفات الكمال، المتعالي عن الأنداد والأشباه والأمثال، تبارك ربنا وتعالى عن أن يكون حالاً أو محلولاً، دلت على وجوده بدائع مخلوقاته، ومحكمات مصنوعاته، واتصف لأجلها وبذاته بجميل نعوته وصفاته، القادر، العالم، الحي، الدائم، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الذي لم يلد فيكون والدًا، ولم يولد فيكون مولودًا، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه أبداً، الغني عمن سواه، فلا معين له فيما أحدثه وبراه، العدل فيما حكم به وقضاه، له الأسماء الحسنى، والأمثال العلى، الصادق في وعده ووعيده، المصدق بمعجزاته لمن انتخبه من صفوته وعبيده، وأقر بوحدانيته الصامت والناطق بما أتقن وصنع، فإليه يفزع الملهوف إذا فزع، كان ولا شيء قبله شديد المحال، وهو كائن قبل الحال وعلى كل حال، ساوى بين خلقه في الخلق والموت والفناء والحياة وفي الرزق المحتوم لا المقسوم، فما شق فاه إلا كفاه، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، ولا تضمنه الأنواع والأعراض والأجناس، القريب البعيد، الفعال لما يريد، لا يظلم العباد، ولا يحب الفساد، بل دعاهم إلى الرشاد، وحذرهم من العناد، واستأدى شكر نعمه، ليزيدنا من مواهبه ومننه وكرمه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صدقه بباهر معجزاته، وواضح^(١) بيناته وآياته، وجعل منها محكمات تنزيله الشهيرة، مثيرة لدفائن العقول المنيرة، والصلاة والسلام

(١) في (أ): وأوضح.

على رسوله محمد المبعوث إلى الخاص والعام، وعلى آله سفن النجاة ونجوم الظلام، صلاة وسلاماً يتعاقبان تعاقب الدهور والأعوام، ويكونان ذخيرة لنا في يوم النشور إذا اشتد الزحام، يوم تكشف السرائر والضمائر، ويرى كل محشور ما إليه آيب وصائر، وأشهد أن خليفته من بعده أخوه المرتضى، وسيفه المنتضى، وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء، في الدنيا والأخرى، وأن ولديها الإمامان من بعد أبيهما قاما أو قعدا، مولانا أبي محمد الحسن، ومولانا أبي عبد الله الحسين المؤمن، سيدي الشهداء، وأن الخلافة بعدهما فيمن صلح من ذريتهما الطاهرين، وقام ودعى إلى يوم الدين.

وبعد...

فهذه الرسالة فيما يتعلق بالعقول العشرة، كاشفة لكلام فرق الفلاسفة الخمس، حاكية لوحدة مذاهبهم واتصالها بأصل واحد كاتصال يومنا بالأمس، وهم الفلاسفة العلية، والمناطق^(١) الجوهرية العرضية العلية، والباطنية النفسية [العية]^(٢)، والمطرفية [العنصرية العلية، والصوفية]^(٣) الحلولية الفروجية العلية، والمنجمة داخلية في تلك الفرق مقربة من منهاج القرشي، وتجريد الطوسي، وشرحه للقوشنجي، ومن شرح الثلاثين المسألة وما سنح من كتب الكلام الحاكية لمذاهب الفلاسفة اللثام، ومن بعض رسائل المنطق فيما يتعلق بالصناعة المنطقية، ومن رسالة الاسم الأعظم، ورسالة شرح النفس للخطاب بن الحسن بن [أبي]^(٤) الحفاظ الباطني، ومن رسالة التذكرة لحاتم بن إبراهيم الباطني، ومن رسالة الإحسان في خلق الإنسان، وما سنح من رسالة الصورة والهيولى، من رسائل إخوان الصفا، حاكية لكلام إخوانهم الفلاسفة، وهذه الرسالة

(١) في (أ): والناطق.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (أ).

(٤) ساقط من (أ).

الحاكية لنحلة الباطنية المذكورة هنا هي بخط الفقيه محمد بن يحيى مرجز الباطني الهمداني الطوظاني، رقم رسالة التذكرة في شهر صفر سنة ١٢٧٦ سنة ست وسبعين ومائتين وألف، وزبر رسالة الاسم الأعظم، ورسالة شرح النفس في تاريخ شهر ربيع الأول في تلك السنة سنة ١٢٧٦، وحرر رسالة الإحسان في خلق الإنسان في سادس عشر من شهر جمادى الأخرى في تلك السنة أيضاً سنة ١٢٧٦، رقم الكل في بندر سورت من بلاد الهند بمحضر الداعي عبد القادر نجم الدين بن الداعي طيب زين الدين، قال ما لفظه: بقلم أحقر العبيد للملك الصنديد، بحر العلم الزاخر، جم الفضائل والمفاخر، سيدنا أبي محمد عبد القادر، نجم الدين بن سيدنا طيب زين الدين^(١)، فلما برزت عقائدهم ورسائلهم في القراطيس، وكادت أيامهم أن تلحق بأيام المعلم الأول أرسطاطاليس لولا ما دفعهم الله به أولاً بسيفنا، وثانياً بتسليط ناجم العجم، وثالثاً: وفي كل حال بالرد بأفلامنا وأفلام أتباعنا من سادات الأنعام، والعلماء الأعلام، حملني ذلك على بيان مخازيهم، ونشر فضائهم، والرد عليهم بما سنع من الأدلة العقلية، والميره النقلية الإجمالية والتفصيلية، رجاء للشواب، وحسن المآب، وعملاً بما ورد في محكم السنة والكتاب، وحذراً من وعيد الكتمان على عدم البيان، وطمعاً في أن نكون ممن يعلن الحق عند ظهور البدعة، وحدوث الشنعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَاهْتَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنَةُ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] وقال النبي ﷺ: «من انتهر صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً» وقال النبي ﷺ: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام» أو قال الإيمان - ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»، وقد كفت علوم آبائنا الأوائل، وأفادت أتباعهم الأفاضل، واحتوت على صحيح المدلول والدلائل، ولكن لا يزال مارد الشياطين

(١) هنا انتهى كلام الباطني، وبعده كلام الإمام %.

يختطف الخطفة في كل حين فيتبعه شهاب ثاقب، وسهم صائب، يقطع أبهره ويحل أخبثه ويبطل أصله ويجدع أنفه، ويسمه على الخرطوم حتى يكون عبرة لمن خلفه، وها نحن نورد كلام الفلاسفة أولاً: ليكون كالمدخل إلى ما نحن بصدده من الرد على الباطنية، ثم نفرد صناعة المناطقة، ثانياً، ثم ننقل كلام الباطنية، ثالثاً، ومن اتصل بهم ليعلم أنهم إخوان الفلاسفة من القول بتأثير العلة وإيجابها، وقدم العالم ووحدة الوجود، وإنكار الصانع الفاعل المختار المعبود، وإن رادفوا بعض الألفاظ والعبارات، أو زيفوها بالتمويهات المحتملات المقبولات.

نقل كلام القرشي لكلام الحكماء الفلاسفة

قال القرشي في منهاجه ناقلاً لكلام الفلاسفة: قالت الفلاسفة: المؤثر في العالم علة قديمة صدر عنها عقل واحد من حيث عقلت نفسها ثم تكثر هذا العقل من ثلاث جهات:

فمن حيث عقل باريه صدر عنه عقل وهو أشرف ما يصدر.

ومن حيث هو واجب الوجود من باريه صدر عنه نفس الفلك الأعلى وهي السماء التاسعة التي يعبر عنها المسلمون بالعرش وهو أوسط ما يصدر.

ومن حيث هو ممكن الوجود في ذاته صدر عنه جرم الفلك وهو أخس الثلاثة؛ لأنه جسم لم يصدر عن عقل، ثم صدر عن الثاني عقل ثالث ونفس فلك الكواكب وجرمه، وهي السماء الثامنة التي تسمى الكرسي، ثم صدر عن العقل الثالث عقل رابع ونفس فلك زحل وجرمه وهي السماء السابعة، ثم صدر عن العقل الرابع عقل خامس ونفس فلك المشتري وجرمه وهي السماء السادسة، ثم صدر عن العقل الخامس عقل سادس ونفس فلك المريخ وجرمه وهي السماء الخامسة، ثم صدر عن العقل السادس

عقل سابع ونفس فلك الشمس وجرمه وهي السماء الرابعة، ثم صدر عن العقل السابع عقل ثامن ونفس فلك الزهرة وجرمه وهي السماء الثالثة، ثم صدر عن العقل الثامن عقل تاسع ونفس فلك عطارد وجرمه وهي السماء الثانية، ثم صدر عن العقل التاسع عقل عاشر ونفس فلك القمر وجرمه وهي السماء الأولى، والعقل العاشر هو الأدنى إلينا على حسب الترتيب، البيت:

زحل شرى مريخهم بشمسهم فترهت بعطارد أقمار

وهو العقل الفعال عندهم، ومعنى ذلك أنه صدر عنه دون غيره هذه السماء وغيرها من المادة القابلة للكون والفساد بواسطة طبائع الأفلاك وحركاتها، قالوا: فالأشياء على هذا التقسيم إلى حال لا يقوم بنفسه تحلة الأعراض وهي الأجسام، وإلى قائم بنفسه يؤثر في الأجسام وهي النفوس، وإلى قائم بنفسه يؤثر في النفوس وهي العقول، وإلى قائم بنفسه يؤثر في العقول وهي العلة، العقل الأولي، قالوا: والأجسام عشرة، تسع سماوات، وهي حاصلة بنزول صدورهما على جهة الإيجاب وحية أيضاً لأن لها نفوساً، والجسم العاشر هو هذه المادة القابلة للكون والفساد والزيادة والنقصان والتغيير والنقلة.

قالوا: وهذه العقول التسعة هي الملائكة، ولكن نسميها حقيقة الأفلاك.

قلت: فنفوا الملك الديان، وأنكروا حقيقة ملائكة الرحمن، والشیاطين والشیطان.

وقالوا: الملائكة مجاز عن العقول، والشیاطين هم أهل ظاهر الشريعة منكبين للتعليم القائلين بنجم مفاهيم المنقول، وبمعيار العقول.

قال في رسالة الهبولى: والصورة فصل في أقاويل الحكماء في ماهية الحركة.

اعلم أن الحركة تقال على ستة أوجه: الكون، والفساد، والزيادة، والنقصان، والتغيير، والنقلة، فالكون هو خروج الشيء من العدم والوجود من القوة إلى الفعل والفساد عكس ذلك، والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مؤثره، والنقصان عكس ذلك، والتغيير هو تبديل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات، وأما الحركة التي تسمى النقلة فهو عند جمهور الناس نزوح من مكان إلى مكان آخر، ويقال: إن النقلة هو الكون في محاذات ناحية أخرى في الزمان الآتي، وهذين^(١) القولين يصح في الحركة التي على الاستقامة، فأما التي على الاستدارة فلا يصح؛ لأن المحرك على الاستدارة فلا ينتقل من مكان إلى مكان، ولا يصير في محاذات أخرى في زمان ثاني، فإن قيل إن المتحرك على الاستدارة أجزاءه تبدل أماكنها وتصير في محاذيات أخرى في زمان ثاني لا الجزء الذي هو في المركز فإنه ساكن فيه لا يتحرك، فليعلم من يقول هذا ويظن هذا الظن أو يقدر أن هذا رأي صحيح أن المركز إنما هو نقطة متوهمة وهي رأس الخط ورأس الخط لا يكون مكان الجزء من الجسم وليعلم أيضاً أن المتحرك على الاستدارة بجميع أجزائه متحرك وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير محاذياً لشيء آخر في زمان ثاني، فأما الحركة على الاستقامة فلا يمكن إلا بالانتقال من مكان إلى مكان في زمان ثاني.

فإن قيل: إنه مكن ذلك أن الإنسان قد يحرك يده أو بعض أعضائه وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان، فماذا ترى؟ كيف يكون حال اليد هو يجوز أن يتحرك ولا يخرج من مكان إلى مكان؟ وكذلك حكم الأصبع هل يجوز أن تحرك ولا تنقل من مكان إلى مكان، ولا تمر بمحاذات آخر في زمان ثاني؟

(١) قال في الأصل: (كذا في الأم) تمت. والصواب وهذا القولان.

واعلم أنه متى تحركت الأجزاء من جسم فقد تحركت تلك الجملة، ومتى تحركت الجملة فقد تحركت الأجزاء، لأن تلك الجملة لأجزاء ليست غير تلك الجملة وذلك أنه إذا تحركت أي جملة الإنسان فقد تحركت جملة أعضائه، وإذا تحركت أعضاؤه فقد تحرك هو، وإن تحرك يده وحدها فقد تحركت أجزاء اليد كلها، لأن اليد ليست بشيء غير تلك الأجزاء، وكذلك إذا تحركت أصبعاً واحداً فقد تحركت أجزاء الأصابع كلها؛ لأنه ليست الأصبع غير تلك الأجزاء فمن ظن أنه يجوز أن تتحرك الأجزاء ولا تتحرك الكل أو تحرك الجملة ولا تتحرك بعض الأجزاء فقد أخطأ.

واعلم أنه قد ظن كثير من أهل العلم أن المتحرك على الاستقامة يتحرك حركات كثيرة؛ لأنه يمر في حركته بمحاذات كثيرة في حال حركته وليس ينبغي أن يعتبر كثرة الحركات بكثرة المحاذيات، فإن السهم في مروره إلى أن تقع حركته واحدة وإن كان يمر بمحاذيات أشياء كثيرة، وكذلك المتحرك على الاستدارة فحركته واحدة إلى أن يقف، وإن كان يدور أدواراً كثيرة.

واعلم أنه لا يفصل حركة من حركة إلا بسكون بينهما يعرفه ولا يشك فيه أهل صناعة الموسيقى، وذلك أن صناعتهم معرفة تأليف النغم^(١) والنغم لا يكون إلا بأصوات والأصوات لا تحدث إلا من تصادم الأجسام وتصادم الأجسام لا تكون إلا بالحركات، والحركات لا يفصل بعضها من بعض إلا بسكونات تكون بينها، فمن هذا قالوا الذين نظروا في تأليف النغم أن يمر زمان كل نقرتين زمان سكون، وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة لنا في تأليف اللحون ما هي ولم هي وكيف هي، فاعرفها، من هناك انتهى كلام رسالة الهبولى والصورة في هذا الموضع وهذا من اللغو ومن الإثم منهم، ولكن نحن بصدد الرد عليهم والبيان لأقوالهم فقد قيل في مثلهم (استعين على

(١) قال في الأصل: (النَّغَمُ بفتحتين) جمع نغمة وهي الصوت يقال: فلان حسن النغمة إذا كان حسن الصوت في القراءة، كذا في الصحاح. تمت.

كل صناعة بأهلها).

نقل كلام الطوسي وشرحه حاكياً عن الفلاسفة

وقال في تجريد الطوسي وشرحه للقوشنجي فيما يتعلق بالعقول العشرة وما هو كالدليل للفلاسفة على هوسهم.

الفصل الثاني في الأجسام: وهو قسمان: فلكية، وهو الأفلاك بما فيها من الكواكب، وعنصرية وهو العناصر بما فيها من المواليد الثلاثة - أعني المعدنيات، والنباتات، والحيوانات - أما الفلكية فالكل منها يعني الأفلاك التي ليست بأجزاء لأفلاكٍ آخر، الأطلس الخالي عن النقوش يحيط بالجميع ولذلك يسمى بفلك الأفلاك، وبالفلك الأعظم وتحت فلك الثوابت، ثم فلك الكواكب السبعة السيارة على الترتيب المشهود في البيت السابق، وهذه الأفلاك هي التي لم يجوزوا أن تكون أولاً منها لأنهم وجدوا في بادي الرأي جميع الأفلاك متحركة بالحركة اليومية السريعة من المشرق إلى المغرب فأثبتوا لها فلکاً ثم وجدوا بنظر دون جميع الثوابت متحركة بحركة واحدة بطيئة من المغرب إلى المشرق فأثبتوا لها آخر.

وكذلك الكواكب السبعة السيارة ذوات حركات غريبة مختلفة غير متشابهة لقياس بعضها إلى بعض فأثبتوا لكل واحدٍ منها فلکاً آخر فصارت الأفلاك تسعة.

قال القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس في شرحه على الثلاثين المسألة للشيخ العلامة أحمد بن الحسن بن محمد الرصاص حاكياً لكلام الفلاسفة وما يتعلق به: والقول إن لهذا العالم صانعاً فاعلاً مختاراً وهو مذهب جميع فرق الإسلام وأكثر فرق الكفر من أهل الكتب، وكثير من عبدة الأوثان، والخلاف في ذلك مع الملحدة والفلاسفة والدهرية والطبائعية والباطنية، ثم اختلفت هذه الفرق الضالة على قولين، فالملحدة والدهرية والطبائعية والفلاسفة المتقدمون ينفون المؤثر ويقولون لا صانع

جملةً ولا تفصيلاً، ويقولون العالم قديم وما ثمة إلا ليل ونهار وشمس وأقمار وفلك دوار، وقد حكى الله تعالى مقالة الدهرية في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية: [الجاثية: ٢٤].

والقول الثاني وهو قول الباطنية والفلاسفة الإسلامية: إن أصل العالم علة موجبة وتلك العلة غير موصوفة بشيء من صفات الإثبات لأنها لو وصفت تعددت وتكثرت وتلك العلة غير مختارة، والعالم ملازم لها في الوجود في القدم ملازمة شعاع الشمس لها.

قالوا: ثم إن تلك العلة أثرت في ذات يقال لها عقل فحصل لهذا العقل خلال ثلاث، عقل لباريه، وهو العلة الموصوفة، وصحة وجوده في نفسه وإمكان وجوده من باريه، وهذه الخصال تتفاوت عندهم في الرتبة والشرف أشرفها صحة وجوده من باريه، وأوسطها عقل لباريه وأدناها إمكان وجوده في نفسه، ولأجل هذه الخلال الحاصلة أثرت في ثلاثة أشياء لأجل الأشرف أشرف ولأجل الأوسط أوسط ولأجل الأدنى أدون، أثرت لأجل عقله لوجوده من جهة باريه في عقل ولأجل عقله لا مكان وجوده في نفسه في فلك ولأجل عقله لباريه في نفس فلك، ثم حصل لهذا العقل من خلال ما حصل للأول وأثر في مثل ما أثر فيه العقل الأول، ولم تزل العقول كذلك إلى أن بلغت عشرة والأفلاك تسعة والنفوس تسعاً والعقل العاشر هو المتولي لتأثير العالم من الإيجاد والإحياء والإماتة وسائر ما اشتمل عليه العالم منوط بهذا العاشر، فأما الذات المتقدمة وما يليها إلى العاشر فلا حظ لها في شيء من أمر العالم ولهم أقوال تخالف ذلك كلها متفقة أن الذي ينتهي إليه جميع العالم علة وأن العالم ملازم في وجوده وجودها في القدم وسموا هؤلاء فلاسفة إسلاميين لأنهم يقررون بظواهر الإسلام، وقيل لحدوث مذهبهم بعد بعثة النبي ÷.